الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والكرامة الإنسانية من منظور الشريعة الإسلامية، في ضوء مقاصدها الكلية ومبادئها الأخلاقية، انطلق البحث من تأصيل مفهوم الذكاء الاصطناعي، مبيّنًا نشأته وتطوّره ووظائفه الأساسية، وصولًا إلى تحليل أثره في الإنسان والمجتمع، وتناول في محاوره الثلاثة الموازنة بين تمكين التقنية وإشكالاتها القيمية، وموقف الشريعة من استبدال الإنسان بالآلة في المجالات الأخلاقية والاجتماعية، إضافة إلى الضوابط الفقهية التي تنظّم التعامل مع الأنظمة الذكية في ضوء فقه المقاصد، وفقه المآلات، وفقه المسؤولية .
وقد خلص البحث إلى أنّ الشريعة الإسلامية تمتلك نظامًا قيميًا متكاملًا قادرًا على توجيه العلم والتقنية نحو الخير العام، من خلال حفظ النفس والعقل والنسل، وتحقيق التوازن بين التطور العلمي والكرامة الإنسانية، كما أوصى الباحث بضرورة وضع ميثاق شرعي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي في العالم الإسلامي، وتفعيل دور المؤسسات العلمية والفقهية في مراقبة مسار تطور هذه التقنيات بما يخدم الإنسان ولا يلغيه

.الكلمات المفتاحية :الذكاء الاصطناعي – الكرامة الإنسانية – مقاصد الشريعة

Abstract:

This research aims to examine the relationship between artificial intelligence (AI) and human dignity from the perspective of Islamic Sharia, in light of its overarching objectives and ethical principles. The study begins by conceptualizing AI, outlining its origins, development, and core functions, and then analyzes its impact on individuals and society. The research addresses three main themes: balancing the empowerment provided by technology with its ethical challenges, the Sharia stance on replacing humans with machines in moral and social roles, and the jurisprudential frameworks regulating interactions with intelligent systems, including the jurisprudence of objectives (maqasid), consequentialism (fiqh al-ma’ali), and liability (fiqh al-darar)

The study concludes that Islamic Sharia provides a comprehensive ethical system capable of guiding science and technology towards public welfare, by preserving life, intellect, and lineage, and achieving a balance between scientific progress and human dignity. The researcher also recommends establishing a Sharia-based charter for AI ethics in the Islamic world and enhancing the role of academic and jurisprudential institutions in monitoring AI

developments to ensure they serve humanity without undermining it.

Keywords:

Artificial Intelligence – Human Dignity – Maqasid al-Sharia (Objectives of Islamic Law)

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، خالق الإنسان ومعلّمه البيان، الذي كرّم بني آدم بالعقل وجعل الفكر أداة لاستخلاص الحكمة، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ المصطفى وآله الطاهرين، الذين أرسوا للإنسان منهج الحياة الطيبة القائم على العلم والإيمان، وجعلوا من المعرفة سبيلًا للعبادة والعمران.

إنّ الذكاء الاصطناعي بما يمثله من ثورة علمية ومعرفية غير مسبوقة، قد أصبح أحد أبرز مظاهر التطور البشري في هذا العصر، إذ تجاوز حدود الآلة الميكانيكية ليحاكي قدرات الإنسان في التفكير والتحليل واتخاذ القرار، ومن هنا تبرز أهميته في الجانب الشرعي؛ لأنه يمسّ جوهر العلاقة بين الإنسان والتقنية، ويثير أسئلة جديدة تتعلق بالمسؤولية والأخلاق والكرامة الإنسانية التي جاءت الشريعة الإسلامية لصيانتها وحمايتها.

وتتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها محاولة لاستقراء الموقف الشرعي من الذكاء الاصطناعي، بوصفه أداة قادرة على التأثير في منظومة القيم الإنسانية، واستكشاف مدى توافق استخداماته مع مبادئ الشريعة الإسلامية ومقاصدها في حفظ النفس والعقل والكرامة، ضمن إطار فقهي مقاصدي معاصر.

أما هدف البحث فيتمثل في بيان الرؤية الإسلامية المتوازنة التي تجمع بين تشجيع الابتكار العلمي والتقني، وبين وضع الضوابط الشرعية التي تضمن توجيه الذكاء الاصطناعي لخدمة الإنسان لا لتقويض مكانته أو امتهان كرامته، مع محاولة استنباط الأسس الفقهية والأخلاقية التي يمكن أن تُبنى عليها مدونة شرعية للتعامل مع الأنظمة الذكية.

ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستقرائي المقاصدي، من خلال تتبع النصوص القرآنية والحديثية ذات الصلة بالكرامة الإنسانية ومقاصد الشريعة، ثم تحليلها في ضوء التطورات المعاصرة في مجال الذكاء الاصطناعي.

أما خطة البحث فقد اشتملت على ثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأول: مفهوم الذكاء الاصطناعي والكرامة الإنسانية – دراسة تأصيلية.

المبحث الثاني: الذكاء الاصطناعي بين التمكين والإشكال القيمي.

المبحث الثالث: الضوابط الشرعية لصيانة الكرامة الإنسانية في ظل الذكاء الاصطناعي.

وبذلك يسعى هذا البحث إلى بناء رؤية معرفية متكاملة تعيد وصل العلم بالقيم، وتبرز أن الشريعة الإسلامية تمتلك من المرونة والعمق ما يجعلها قادرة على استيعاب التحولات التقنية الكبرى دون أن تفقد إنسانيتها أو تفريطها في جوهر التكريم الإلهي للإنسان، كما يهدف إلى تأكيد أن الذكاء الاصطناعي، مهما بلغ من التطور، يبقى وسيلة لخدمة الإنسان لا بديلاً عن وعيه أو ضميره، وأن التوجيه الشرعي هو الضمان الأصيل لتحقيق التوازن بين التقدم التكنولوجي وصيانة الكرامة البشرية.

والحمد لله الذي هدانا بنور العلم، وأكرمنا بشريعة تحفظ للإنسان قدره، وجعلنا من أمةٍ تأمر بالمعروف وتنظر إلى المستقبل بعين البصيرة والإيمان.

المبحث الأول: مفهوم الذكاء الاصطناعي والكرامة الإنسانية – دراسة تأصيلية

يُعدّ هذا المبحث مدخلًا تأصيليًّا لبيان مفهوم الذكاء الاصطناعي من حيث نشأته ودلالاته وتطبيقاته بوصفه ثمرةً للسعي الإنساني لمحاكاة قدراته العقلية، كما يعرض لمفهوم الكرامة الإنسانية في الإسلام باعتباره أصلًا تشريعيًّا ومقصدًا يرعى حماية الإنسان وتكريمه، ويهدف إلى إبراز الصلة بين المفهومين في إطار رؤية شرعية تجمع العلم بالقيم لتحقيق توازنٍ في علاقة الإنسان بالتقنية الحديثة.

المطلب الأول: مفهوم الذكاء الاصطناعي: النشأة، التطور، والوظائف الأساسية : يُعد الذكاء الاصطناعي أحد أبرز منجزات العصر الحديث، نشأ لمحاكاة القدرات العقلية الإنسانية آليًا، وتطوّر ليصبح علمًا يجمع الرياضيات والمنطق وعلوم الحاسوب، مبتكرًا أنظمة قادرة على التعلم والتحليل واتخاذ القرار بشكل يحاكي العقل البشري.

اولا : مفهوم الذكاء الاصطناعي : الذكاء الاصطناعي هو أحد علوم الحاسب يهدف الى تطوير أنظمة وبرامج قادرة على محاكاة الذكاء البشري أي لها القدرة على التفكير بطريقة تشبه البشر ، وفي الاتي بيان مفهوم الذكاء لغة واصطلاحا :

لغة : ذكاء: (اسم) ذكاء مصدر ذكى ، وذكى: (فعل)، ذكى يذكي، مصدر ذكاء، ذَكاء الإنْسان: قدَرته على الفَهْم والاسْتِنتاج والتَّحليل والتَّمييز بِقُوّة فِطْرتِه وَذَكاء خاطِرِهِ ، اما اصطناعي: اسم منسوب الى اصطناع، أي ما كان مصنوعًا، غير طبيعي حريُر/وَرٌد اصطناعي، فالذكاء اصطناعي: قدرة الة او جهاز ما على أداء بعض الأنشطة التي تحتاج الى ذكاء مثل الاستدلال الفعلي والإصلاح الذاتي[1]

اصطلاحا : يعد الذكاء الاصطناعي ،Artificial Intelligence أحد فروع علم الحاسوب وإحدى الركائز الأساسية التي تقوم عليها صناعة التكنولوجيا في العصر الحالي والذي يشار اليه بالاختصار (AI) [2]

عرفه جون مكارثي وهو اول من حدد مصطلح الذكاء الاصطناعي بانه: "وسيلة لصنع جهاز كمبيوتر، او روبوت يتم التحكم فيه عن طريق الكمبيوتر، او برنامج يفكر بذكاء بالطريقة نفسها التي يفكر بها البشر الاذكياء، ويتم تحقيق الذكاء الاصطناعي من خلال دراسة كيف يفكر الدماغ البشري، وكيف يتعلم البشر ويقررون ويعملون اثناء محاولة حل مشكلة ما، ثم استخدام نتائج هذه الدراسة كأساس لتطوير برامج وأنظمة ذكية"[3]، كما عرفه افرون بار وادوار فيجنبوم بأنه: "جزء من علم الكمبيوتر يهدف الى تصميم أنظمة كمبيوتر ذكية، بمعنى انها تعطي نفس الخصائص التي نعرفها بالذكاء في السلوك الإنساني"[4]، وعليه يمكن تعريف الذكاء الاصطناعي بأنه فرع حديث

---

[1] ( ) قاموس المعاني الجامع، تاريخ الاطلاع 15/07/2023على الساعة ،3:00رابط الموقع: https://www.almaany.com/ar/dict/ar

[2] ( ) باهة فاطمة، انظمة الذكاء الاصطناعي وتحديات التأطير القانوني لشخصنتها، مجلة البحوث في الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، العدد ،01جويلية ،2023 ، ص 414

[3] ( ) يحيى إبراهيم دهشان، المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي، مصر، مجلة الشريعة والقانون، الغدد ،82أفريل ،2020ص .110-10

[4] ( ) أسامة الحسيني، الذكاء الاصطناعي ومخل الى لغة ليسب، دار الرتب الجامعية، بيروت، ص 16

من علوم الحاسوب يهدف إلى تمكين الآلة من محاكاة بعض صور السلوك الذكي كالتعلم والاستنباط واتخاذ القرار، من خلال فهم آليات التفكير البشري وترجمتها إلى عمليات حسابية تسهم في أداء مهام مشابهة، دون السعي لمضاهاة العقل الإنساني كاملًا، بل للاستفادة من مبادئه في تطوير قدرات الأنظمة الحاسوبية.

ثانيا : نشأة الذكاء الاصطناعي : بدأت فكرة الذكاء الاصطناعي في الأساطير القديمة عن كائنات صناعية واعية، ثم تطورت مع فلاسفة الكلاسيك الذين وصفوا التفكير بأنه معالجة رموز، وتبلورت مع اختراع الحاسوب القابل للبرمجة في الأربعينيات. وفي عام 1956 تأسس مجال الذكاء الاصطناعي رسميًّا في ورشة دارتموث، حيث اجتمع روّاد المجال واعتقدوا بإمكانية الوصول لذكاء مماثل للإنسان خلال جيل واحد، وحصلوا على دعم مالي كبير لتحقيق ذلك. [1] ، شهد مختبر الذكاء الاصطناعي بمعهد MIT تطورًا مهمًا حين قدّم آلان تورنج اختبارًا لقياس قدرة الآلة على محاكاة التفكير البشري، فغدا معيارًا لتقدّم المجال. ثم جاء فرانك روزينبلات عام 1958 بمفهوم "البيرسبترون"، وهو نموذج أولي للشبكات العصبية الاصطناعية التي تحاكي الدماغ وتتعلم بالتجربة، وقد برزت تطبيقاته عمليًّا في سبعينيات القرن العشرين، مؤسِّسًا لمرحلة تطورية بارزة في الذكاء الاصطناعي. [2].

ثالثا : مراحل تطور الذكاء الاصطناعي : شهد الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) مرّ الذكاء الاصطناعي بمراحل تطورية منذ منتصف القرن العشرين، وكانت بداياته نظرية، حيث سعت الدراسات الأولى لمحاكاة الدماغ البشري منطقيًا، ومن أبرزها بحث مكَولخ وبتس عام 1943 الذي قدّما فيه نموذجًا حسابيًا للخلايا العصبية، فشكّل الأساس لفكرة الشبكات العصبية الاصطناعية. [3]، ثم جاء آلان تورنغ عام 1950 بمقاله الشهير "آلات الحوسبة والذكاء" الذي طرح فيه السؤال الجوهري: هل تستطيع الآلة أن تفكر؟ مقترحًا اختبارًا أصبح لاحقًا مقياسًا لذكاء الآلات يُعرف بـ "اختبار تورنغ" [4].

وجاءت المرحلة الثانية في خمسينيات القرن العشرين، حيث تأسس الحقل رسميًّا، واستُخدم مصطلح "الذكاء الاصطناعي" لأول مرة في مؤتمر دارتموث عام 1956 الذي نظمه مكارثي ومنسكي وشانون ونيويل، فشكّل ذلك الحدث الانطلاقة العلمية الفعلية لهذا المجال. [5] وفي هذه الحقبة طُورت أولى لغات البرمجة الخاصة بالذكاء الاصطناعي مثل لغة (LISP) عام 1958، وظهر برنامج "المنطقي النظري" الذي استطاع حل مسائل رياضية بسيطة بالاعتماد على مبادئ الاستنتاج المنطقي [6]، ثم تلتها المرحلة الثالثة التي يمكن تسميتها بمرحلة "الازدهار الأول" ما بين الستينيات وأواخر السبعينيات، حيث شهدت تطور الأنظمة الخبيرة (Expert Systems) التي تعتمد على القواعد المنطقية في محاكاة الخبرة البشرية، ومن أبرز هذه الأنظمة برنامج

---

[1] ( ) Kaplan(، Andreas ؛Haenlein ، Michael (2019). "Siri, Siri, in my hand: Who's the fairest in the land? On the interpretations, illustrations, and implications of artificial intelligence". Business Horizons. ج. 62

[2] ( ) تاريخ الذكاء الاصطناعي ، م.م عبد المحسن عبد الأمير إبراهيم : https://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blog

[3] ( ) راسل و نورفيغ، الذكاء الاصطناعي: منهج حديث، ج1، ص45

[4] ( ) تورينغ، Computing Machinery and Intelligence، ص433

[5] ( ) نيلسون، تاريخ الذكاء الاصطناعي، ص72

[6] ( ) مكارثي، برمجة الذكاء الاصطناعي، ص95

"MYCIN" المستخدم في تشخيص الأمراض البكتيرية [1] إلا أن هذه المرحلة انتهت بما عُرف بـ "شتاء الذكاء الاصطناعي" الأول عام 1974 نتيجة ضعف أداء هذه الأنظمة أمام المشكلات الواقعية وانخفاض التمويل البحثي [2] وفي المرحلة الرابعة التي امتدت من منتصف الثمانينيات إلى أوائل القرن الحادي والعشرين، عاد الاهتمام مجددًا بفضل ظهور خوارزميات "التعلّم الآلي" (Machine Learning) والشبكات العصبية متعددة الطبقات التي تعتمد على خوارزمية "الانتشار العكسي" (Backpropagation) التي طورها جفري هنتون عام 1986 [3] وقد أدّى هذا التطور إلى ولادة حقبة جديدة تقوم على تدريب الأنظمة الحاسوبية على تحليل البيانات بدلاً من برمجتها يدويًّا، وهو ما أتاح انتشار تطبيقات الذكاء الاصطناعي في ميادين متعددة كالتعرف على الصوت والصورة والترجمة الآلية[4] ثم جاءت المرحلة الخامسة وهي مرحلة "النهضة الكبرى" التي بدأت منذ العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين مع ظهور تقنيات "التعلم العميق" (Deep Learning) التي تستند إلى الشبكات العصبية العميقة (Deep Neural Networks) والمعالجة الضخمة للبيانات (Big Data)، وبرزت في هذه المرحلة إنجازات غير مسبوقة مثل برنامج "ألفا غو" لشركة (DeepMind) الذي تغلّب على أبطال لعبة "غو" عام 2016، ما عُدّ نقلة نوعية في قدرات الآلة على التعلّم الذاتي [5] كما شهدت هذه المرحلة اندماج الذكاء الاصطناعي في الحياة اليومية عبر المساعدات الصوتية والقيادة الذاتية وتوليد النصوص والصور [6]

وأخيرًا، تُعد المرحلة الراهنة – الممتدة من عام 2020 حتى اليوم – مرحلة الذكاء التوليدي (Generative AI) التي تمثل طفرة في قدرة الآلة على الإبداع والمحاكاة، بعد تطوير نماذج لغوية عملاقة (Large Language Models) مثل (GPT) و(BERT) التي تعتمد على خوارزميات "المحوّل" (Transformer) القادرة على معالجة النصوص بمستوى قريب من التفكير البشري [7] وتمثل هذه المرحلة تحولًا مفصليًا في علاقة الإنسان بالآلة، إذ لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد أداة تنفيذية، بل شريكًا معرفيًّا في صناعة المعنى والتحليل والتخطيط، ومن خلال هذه المراحل المتعاقبة يتضح أن الذكاء الاصطناعي انتقل من الاعتماد على القواعد الرمزية الجامدة إلى مرحلة الأنظمة الذاتية التعلم، ثم إلى طور الأنظمة التوليدية الإبداعية التي تُعيد تعريف مفهوم العقل والإنتاج المعرفي في العصر الرقمي [8] وبذلك يمكن القول إن تطور الذكاء الاصطناعي يمثل رحلة مستمرة من "محاكاة الذكاء" إلى "صناعة الوعي الآلي"، وهي رحلة تجمع بين الطموح الفلسفي والمعجزة التقنية التي لم تكتمل فصولها بعد.

رابعا : الوظائف الاساسية للذكاء الاصطناعي : يُعدّ الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) يُعد الذكاء الاصطناعي من أبرز منجزات العصر الرقمي، إذ يهدف إلى تمكين

---

[1] ( ) روسيل و نورفيغ، الذكاء الاصطناعي: منهج حديث، ج2، ص156

[2] ( ) نيلسون، تاريخ الذكاء الاصطناعي،ص134

[3] ( ) هنتون، Neural Networks for Machine Learning، ص41

[4] ( ) روسيل و نورفيغ، الذكاء الاصطناعي: منهج حديث، ، ج3، ص212

[5] ( ) جوردن، التعلم العميق وتطبيقاته، ص189

[6] ( ) روسيل و نورفيغ، الذكاء الاصطناعي: منهج حديث، ، ج4، ص276

[7] ( ) فاسواني وآخرون، Attention is All You Need، ص14

[8] ( ) راسل ونورفيغ، ج5، ص301

الآلات من أداء الوظائف الذهنية كالاستيعاب والاستدلال والتعلم والتكيّف، وتتمثل جوهر وظائفه المعرفية والتقنية في محاور رئيسة تحدد آليات عمله وتطبيقاته الحديثة.

أولًا: وظيفة الإدراك (Perception): تُعدّ وظيفة الإدراك الركيزة الأولى في الذكاء الاصطناعي، إذ تمكّن الآلة من استقبال المعطيات عبر الحواس الاصطناعية كالسمع والرؤية، ثم تفسيرها وتحويلها إلى بيانات قابلة للمعالجة، وتشمل أنظمة التعرف على الصور والأصوات والأنماط كالوجوه والنصوص. [1] ويشير راسل إلى أن هذه القدرة تحاكي الإدراك الإنساني عبر خوارزميات الرؤية الحاسوبية (Computer Vision) التي تمكّن النظام من "رؤية" العالم وتمييز مكوناته [2]

ثانيًا: وظيفة التفكير والاستدلال (Reasoning): يقوم الذكاء الاصطناعي في هذه الوظيفة بتحليل البيانات المدخلة للوصول إلى نتائج أو حلول منطقية استنادًا إلى قواعد محددة، وقد كانت هذه الوظيفة الأساس في الموجة الأولى من الذكاء الاصطناعي الرمزي (Symbolic AI) التي اعتمدت على تمثيل المعرفة بلغة منطقية واستخدام القواعد الاستنتاجية [3] ويُعدّ الاستدلال أحد مظاهر "العقل الاصطناعي" القادر على اتخاذ القرار وفق شروط دقيقة أو بيئات غير يقينية [4]

ثالثًا: وظيفة التعلّم (Learning): تمثّل وظيفة التعلّم جوهر التطور في الذكاء الاصطناعي الحديث، إذ تعني قدرة النظام على تعديل سلوكه بناءً على الخبرة المكتسبة دون إعادة برمجته يدويًّا، وتنقسم إلى ثلاثة أنماط رئيسة: التعلّم الموجّه (Supervised Learning)، والتعلّم غير الموجّه (Unsupervised Learning)، والتعلّم المعزّز (Hinton) ، وقد أحدث هذا المبدأ ثورة في الأداء الحاسوبي بفضل الخوارزميات العصبية التي تمكّن النظام من تحسين أدائه باستمرار بناءً على تحليل البيانات[5]

رابعًا: وظيفة الفهم اللغوي (Natural Language Processing): تتجلى هذه الوظيفة في تمكين الآلة من فهم اللغة البشرية وتحليلها، سواء منطوقًا أو مكتوبًا، وهي تتضمن الترجمة الآلية، والتفاعل الصوتي، وتحليل المشاعر، وتوليد النصوص، ويعدّ هذا المجال من أكثر ميادين الذكاء الاصطناعي تطورًا في الوقت الراهن، بفضل النماذج اللغوية العميقة (Large Language Models) مثل GPT وBERT التي تعتمد على خوارزمية "المحوّل"[6]، وتشير الدراسات إلى أن فهم اللغة هو أقرب مظاهر التفكير البشري في الأنظمة الآلية [7]

خامسا : وظيفة التفاعل والتكيّف (Interaction and Adaptation): تشير إلى قدرة النظام على التواصل الديناميكي مع الإنسان أو البيئة المحيطة استجابةً للمدخلات اللحظية، وتُعدّ هذه الوظيفة جوهر الذكاء الاصطناعي في تطبيقاته الحديثة، مثل السيارات ذاتية القيادة، والمساعدات

---

[1] ( ) Russell & Norvig ، Artificial Intelligence: A Modern Approach، ج1، ص87

[2] ( ) المصدر نفسه، ج1، ص93

[3] ( ) نيلسون، تاريخ الذكاء الاصطناعي، ص101

[4] ( ) Russell & Norvig ، ج2، ص157

[5] ( ) المصدر نفسه ، ج3، ص204

[6] ( ) Transformer. Vaswani et al.، Attention Is All You Need، ص17)

[7] ( ) جوردن، التعلم العميق وتطبيقاته، ص203

الصوتية الذكية، والأنظمة التعليمية التفاعلية[1] ويُبيّن الباحث جفري هِنتون أن التكيّف هو ما يجعل الذكاء الاصطناعي أقرب إلى الكائن الحي في آلياته التعلمية [2]

المطلب الثاني: مفهوم الكرامة الإنسانية في الشريعة الإسلامية ومقاصدها الكبرى

يُعدّ مفهوم الكرامة الإنسانية من أعظم المفاهيم التي قررتها الشريعة الإسلامية، إذ أقامت بنيانها التشريعي والأخلاقي على أساس تكريم الإنسان من حيث هو إنسان، لا من حيث جنسه أو لونه أو عرقه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: 70)، وهي آية جامعة تؤسس لمبدأ المساواة والتفضيل الإلهي للإنسان في أصل خلقته، بما أودع الله فيه من عقلٍ وحريةٍ وإرادةٍ وقدرةٍ على الاستخلاف في الأرض، والكرامة في المفهوم الشرعي لا تُستمد من المال أو المنصب، بل من قيمة الإنسان بوصفه خليفة لله في الأرض، ومسؤولًا عن إعمارها وفق منهج العدل والرحمة [3] وقد تناولت مقاصد الشريعة هذا المبدأ بعمقٍ من خلال حفظ الضروريات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، التي عبّر عنها الإمام الشاطبي بأنها أصول كل تشريع ومناط كل تكليف [4]، فالكرامة هنا تمثل مقصدًا تشريعيًّا شاملًا يتجلّى في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، بما يصون هوية الإنسان وحياته وفكره ومجتمعه وملكه. ومن مقاصدها كذلك ترسيخ الحرية المسؤولة؛ فلا كرامة لمن يُسلب إرادته أو يُكره على غير رضاه، إذ تسعى الشريعة إلى تحرير الإنسان من كل أشكال الخضوع لغير الله، سواء كانت تبعية للشهوة أو للسلطة أو للجهل. [5] كما تُعبّر العدالة الاجتماعية عن بُعدٍ أصيل من أبعاد الكرامة، لأنها تضمن المساواة في الحقوق والفرص وتُزيل التمييز الطبقي أو العرقي الذي يُهين إنسانية الفرد، ولذلك جاءت الشريعة في جوهرها لحماية هذه الكرامة من كل امتهان، فحرّمت القتل والظلم والاعتداء، وحرّمت الغيبة والسخرية والتنابز بالألقاب، إذ كلها صور من انتقاص الكرامة الإنسانية [6]

المطلب الثالث: العلاقة بين العقل والتكليف في حفظ كرامة الإنسان

يُعدّ العقل في الإسلام مناط التكليف وأساس التمييز بين الإنسان وسائر المخلوقات، إذ به يدرك الحقائق ويعي مقاصد الشرع ويختار بين الخير والشر، وهو الوسيلة لتحقيق إنسانية الإنسان وكرامته، فلا يُكلَّف من فقد العقل أو الوعي أو كان صغيرًا، لعدم توفر مسؤولية شرعية، كما في الحديث الشريف: «رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل» [7]، ومن هذا المنطلق، فإن التكليف في الإسلام ليس عبئًا على الإنسان، بل هو تشريفٌ له، لأنه يُبنى على إرادته الواعية وقدرته على الفهم والاختيار، فبالعقل يدرك الإنسان حكمة التشريع، ويستوعب أن الغاية من الأوامر والنواهي تحقيق مصالحه ودفع المفاسد عنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: 70)، وهذا التكريم متحقق في كونه كائنًا عاقلًا مكلَّفًا قادرًا على إدراك القيم والمعاني السامية.

---

[1] ( ) Russell & Norvig ، ج5، ص301

[2] ( ) Hinton ، ص61

[3] ( ) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص171

[4] ( ) الشاطبي، الموافقات، ج2، ص8

[5] ( ) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص117

[6] ( ) الرازي، التفسير الكبير، ج22، ص193

[7] ( ) رواه أبو داود، ج2، ص110

إنّ العقل في الإسلام ليس مجرد أداة إدراك نظري، بل هو قوة موجهة للسلوك العملي، تحفظ على الإنسان كرامته من خلال التزامه بالحدود الشرعية، وتجنّبه الوقوع في الانحراف، ومن هنا كان الحفاظ على سلامة العقل مقصدًا من مقاصد الشريعة الضرورية الخمسة، كما قرره الإمام الشاطبي في الموافقات [1]، إذ لا قيام للدين ولا للكرامة الإنسانية بدون عقل سليم، كما أن التكليف مرتبط بالحرية والمسؤولية، وهما ركنان أساسيان في حفظ كرامة الإنسان، لأن المكلَّف لا يكون كريمًا إلا إذا كان حرًّا في اختياره، واعيًا بنتائج أفعاله، ولذلك فإن الشريعة الإسلامية حين تُنزل الأحكام على المكلَّفين، تراعي درجات إدراكهم وقدرتهم، وتربط الجزاء بالنية والعلم، كما قال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» [2] ، وهكذا تتكامل العلاقة بين العقل والتكليف لتشكل منظومة تحفظ للإنسان كرامته في الفكر والسلوك، إذ لا تكليف بلا عقل، ولا كرامة بلا وعي، ولا حرية بلا مسؤولية، فالعقل هو أمانة الله في الإنسان، وبه يتحقق معنى "الخلافة في الأرض" التي تقتضي العمل بالعلم، والالتزام بالحق، والابتعاد عن الجهل والهوى، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ (الإسراء: 36).

المبحث الثاني: الذكاء الاصطناعي بين التمكين والإشكال القيمي

المطلب الأول: الإيجابيات الإنسانية والاجتماعية للذكاء الاصطناعي في ضوء مقاصد الشريعة

(حفظ النفس والعقل والنسل) : يُعدّ الذكاء الاصطناعي من أبرز مظاهر التقدّم التقني الذي يمكّن الإنسان من تطوير أدواته لخدمة الحياة وتحقيق مقاصد الشريعة في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، ويُنظر إلى إيجابياته الإنسانية والاجتماعية كامتداد لمبدأ التسخير الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ (الجاثية: 13).

أولًا – حفظ النفس: يسهم الذكاء الاصطناعي في تطوير أنظمة طبية دقيقة لتشخيص الأمراض مبكرًا ومتابعة الحالات الحرجة وإجراء العمليات المعقدة، كما يُستخدم لمراقبة الكوارث وتحليل الأوبئة، بما يحمي حياة الإنسان ويخدم مقصد حفظ النفس من أعظم مقاصد الشريعة، قال الإمام الشاطبي في الموافقات: "إن الشريعة إنما وُضعت للمحافظة على مقاصدها في الخلق، وهي حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم"[3]

ثانيًا – حفظ العقل: يسهم الذكاء الاصطناعي في تطوير القدرات المعرفية والتعليمية عبر منصات التعلم الذكية وأنظمة تحليل البيانات والمناهج التفاعلية، ما يعزز التفكير النقدي والبحث العلمي، ويخدم مقصد حفظ العقل كأساس للتكليف وركيزة للكرامة الإنسانية، وقد أكّد الغزالي في المستصفى أنّ "حفظ العقل من المقاصد الضرورية التي لا بد منها لاستقامة الدين والدنيا"[4]، ومن ثم فإن توظيف الذكاء الاصطناعي في التعليم والبحث يُعدّ من وسائل تحقيق هذا المقصد.

ثالثًا – حفظ النسل: ساهم الذكاء الاصطناعي في تحسين الرعاية الأسرية والصحية والكشف عن الأمراض الوراثية، كما يُستخدم لحماية الأطفال ومكافحة الجرائم الأخلاقية، بما يخدم مقصد حفظ النسل ويضمن بقاء الإنسان في طهر وعفاف، يقول الطاهر بن عاشور في مقاصد الشريعة

---

[1] ( ) الموافقات ، ج2، ص8

[2] ( ) صحيح البخاري، ج1، ص3

[3] ( ) الموافقات ، ج2، ص9

[4] ( ) الغزالي ، المستصفى ، ج1، ص174

الإسلامية: "حفظ النسل إنما يُراد به بقاء الإنسان على سنّة التكوين السويّ، وتطهير المجتمع من الفساد"[1].

المطلب الثاني: المخاطر الأخلاقية والقانونية لتقنيات الذكاء الاصطناعي (التحكم، المراقبة، فقدان الخصوصية، محاكاة الوعي)

رغم فوائد الذكاء الاصطناعي في الطب والتعليم والاقتصاد، إلا أنه يثير تحديات أخلاقية وقانونية تمس كرامة الإنسان وحريته ومسؤوليته، وتتمثل أبرز هذه المخاطر في أربعة محاور: التحكم، المراقبة، فقدان الخصوصية، ومحاكاة الوعي.

أولًا – خطر التحكم والسيطرة: تُثير تقنيات الذكاء الاصطناعي قلقًا متزايدًا بشأن إمكانية تحوّلها إلى أداة للهيمنة على قرارات الإنسان أو التحكم في إرادته، فحين تُبرمج الأنظمة على اتخاذ قرارات مستقلة في المجالات الأمنية أو الاقتصادية أو الصحية، قد تنشأ عنها قرارات غير إنسانية تتعارض مع مقاصد العدالة والرحمة التي تؤكدها الشريعة، يقول المفكر محمد عمارة في كتابه الإنسان في الإسلام: "كرامة الإنسان في الإسلام قائمة على حريته واختياره، فإذا سُلِب قراره سُلبت إنسانيته"[2] ومن هذا المنطلق، فإن أي استخدام للتقنية يؤدي إلى تقليص حرية الإنسان في التفكير أو القرار يعدّ إخلالًا بمقصد حفظ العقل والإرادة.

ثانيًا – المراقبة الشاملة وانتهاك الحرية: أصبحت أنظمة الذكاء الاصطناعي أدوات مراقبة دقيقة عبر التعرف على الوجوه وتحليل السلوك وتتبع البيانات، وما لم يُضبط استخدامها قد يقيد حرية الأفراد ويهدد الكرامة والخصوصية، وقد حذّر الفقهاء من كل ما ينتهك ستر الإنسان أو يفشي أسراره؛ قال النبي ﷺ: «من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة» [3]، وهو نصّ يقرر مبدأ احترام الخصوصية وحرمة التتبع.

ثالثًا – فقدان الخصوصية الرقمية: تُعدّ الخصوصية من أهم حقوق الإنسان المعاصرة، وقد أصبحت مهددة بسبب قدرة الأنظمة الذكية على جمع وتحليل كمٍّ هائل من البيانات الشخصية دون علم أصحابها، وهذا الخطر يُنافي مبدأ حفظ الكرامة الإنسانية الذي أكّدت عليه الشريعة الإسلامية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (الحجرات: 12)، إذ يُعدّ التجسس الإلكتروني صورة حديثة من صور التعدي المحرم على خصوصيات الأفراد، كما أن فقدان السيطرة على البيانات قد يؤدي إلى استغلالها في مجالات سياسية أو تجارية، مما يتعارض مع مقصد حفظ النفس والمال والعقل.

رابعًا – محاكاة الوعي والهوية الإنسانية: من أخطر تحديات الذكاء الاصطناعي المعاصر سعيه لمحاكاة الوعي البشري واتخاذ قرارات أو توليد أفكار تشبه التفكير الإنساني، مما يثير إشكالات قيمية وعقائدية عبر الخلط بين الإنسان العاقل المكلف والآلة التي تفتقر إلى الروح والإرادة الأخلاقية، وقد نبّه عبد الرحمن بدوي في "الإنسانية والوجودية في الفكر العربي" إلى خطورة النزعة المادية التي تفصل بين الوعي والروح، مؤكدًا أن " العقل الإنساني لا يُختزل في الأداء الوظيفي، بل هو ثمرة الروح والإرادة الحرة" [4]، وبناءً على ذلك، فإن الشريعة الإسلامية تؤكد ضرورة تقنين استخدام الذكاء الاصطناعي وفق ضوابط أخلاقية وقانونية تحافظ على المقاصد العليا: صيانة الكرامة، حماية الحرية، واحترام الخصوصية، فلا يجوز أن تتحول التقنية إلى أداة

---

[1] ( ) ابن عاشور في مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص210

[2] ( ) محمد عمارة ، الإنسان في الإسلام ، ص145

[3] ( ) صحيح مسلم، ج4، ص2074

[4] ( ) بدوي ،الإنسانية والوجودية في الفكر العربي ، ص98

استعباد أو مراقبة أو تزييف للوعي الإنساني، بل ينبغي أن تبقى وسيلة للتمكين والتعمير، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: 61) ، وهكذا يتبين أن ضبط العلاقة بين الإنسان والآلة يتطلب تفعيل الوعي الشرعي والأخلاقي في المجال التقني، حتى يظل الذكاء الاصطناعي خادمًا للإنسان لا حاكمًا عليه، ووسيلة لتحقيق مقاصد الشريعة لا أداة لخرقها.

المطلب الثالث: موقف الشريعة من استبدال الإنسان بالآلة في الوظائف الأخلاقية والاجتماعية

يثير التقدم السريع في الذكاء الاصطناعي تساؤلات حول مشروعية استبدال الإنسان بالآلة في مجالات الأخلاق والرعاية والتعليم والتوجيه الاجتماعي، وهي ميادين جوهرية لإنسانية الإنسان، إذ تنظر الشريعة إليه ككائن مكرم ومسؤول عن إعمار الأرض وفق مبدأ الاستخلاف، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: 30)، ومن ثمّ فإنّ أي محاولة لإلغاء دوره أو إحلال الآلة مكانه في وظائفه القيمية تُعدّ إخلالًا بمقصد الاستخلاف الإلهي.

تستند الوظائف الأخلاقية والاجتماعية في الإسلام إلى النية والضمير والرحمة والتعاطف، وهي خصائص إنسانية لا تملكها الآلة، التي قد تحاكي السلوك لكنها تفتقر إلى الوعي القيمي والإحساس الأخلاقي، واستبدال الإنسان بها في التعليم أو الفتوى أو القضاء يمحو البعد الإنساني الذي تقوم عليه الشريعة، وقد أكّد الغزالي في إحياء علوم الدين أنّ " الأعمال بالنيات، والنية من خصائص القلب التي لا يدركها إلا الإنسان"[1]، فالآلة لا يمكن أن تكون مكلفة أو تؤدي الفعل الأخلاقي، إذ تقع الوظائف الأخلاقية والاجتماعية ضمن حفظ العقل والدين والنسل، وتساهم في بناء وعي سليم وتنمية العلاقات الإنسانية، بينما استبدال الإنسان بالآلة يضعف الروابط الاجتماعية ويحوّل التفاعلات إلى آلية خالية من القيم، وقد نبّه الطاهر بن عاشور في مقاصد الشريعة الإسلامية إلى أن "حفظ النظام الاجتماعي مقصد كليّ لا يتحقق إلا بوعي بشريّ يزن الأمور بميزان العقل والضمير"[2]،

كما أنّ في الاستبدال خطرًا على مبدأ الكرامة الإنسانية الذي جعله الإسلام أساسًا للتمييز بين الإنسان وغيره، إذ يصبح الإنسان تابعًا للآلة التي صنعها، بعد أن كان مستخدمًا لها، ويقول المفكر مالك بن نبي في مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: "حينما تفقد الفكرة الأخلاقية مركزها في توجيه العمل، تتحول الوسائل إلى أصنام تُستعبد لها النفوس"[3]، الشريعة لا ترفض الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في مجالات التوجيه والتربية والقضاء، لكنها تشدد على ضبطه شرعيًا وأخلاقيًا ليبقى أداة مساعدة تقوي الأداء الإنساني، دون أن تحل محل الوعي الأخلاقي أو روح المسؤولية، فالموقف الشرعي يقوم على مبدأ التكامل لا الإحلال، وهذا ما ينسجم مع القاعدة المقاصدية الكبرى التي تقول: " ما أبيح للضرورة يُقدرُ بقَدْرِها" [4]

المبحث الثالث: الضوابط الشرعية لصيانة الكرامة الإنسانية في ظل الذكاء الاصطناعي

المطلب الأول: مقاصد الشريعة في توجيه العلم والتقنية نحو الخير العام

تعتبر الشريعة العلم والتقنية نعمتين تحققان خدمة الإنسان وعمارة الأرض، ولا غاية فيهما ذاتية، إذ توجه مقاصد الشريعة التقدم العلمي نحو الخير العام وصيانة الحياة، من خلال توازن بين المنفعة والمفسدة، والحرية والمسؤولية، والعقل والوحي، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا

---

[1] ( ) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج3، ص14

[2] ( ) الطاهر بن عاشور في مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص220

[3] ( ) مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص173

[4] ( ) الزحيلي ، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة ، ص 281

فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: 15)، فهذه الآية تؤسس لمبدأ التسخير والعمارة القائم على الإيمان بالله، لا على الغرور العلمي أو الانفصال عن القيم.

تشكل مقاصد الشريعة إطارًا لضبط العلم والتقنية بما يخدم الإنسان ويحفظ مصالحه الأساسية: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فهي الأساس الذي تُبنى عليه الأحكام، ويجب أن يكون أي نشاط علمي أو تقني وسيلة لتحقيق هذه الغايات لا انتهاكها[1]، فالعلم النافع هو ما يخدم هذه المقاصد ويعزز الخير العام، أما العلم الذي يُستخدم في التدمير أو الإفساد أو الإضرار بالبشر، فهو من العلم المذموم الذي حذّر منه النبي ﷺ بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع»[2] وفي ضوء هذه المقاصد، يمكن القول إنّ الشريعة توجه العلم والتقنية نحو خدمة الإنسان لا تسخيره، من خلال مجموعة من المبادئ:

اولا : مبدأ النفع العام، الذي يجعل معيار مشروعية البحث العلمي هو مصلحة الأمة والإنسانية، فكل علمٍ يؤدي إلى حفظ النفس أو تحسين المعيشة أو علاج الأمراض يُعدّ عبادة في ميزان الشرع، كما قرر الغزالي في إحياء علوم الدين: "العلوم التي تُعين على مصالح الدنيا والآخرة مطلوبة شرعًا بقدر الحاجة إليها"[3].

ثانيا: مبدأ عدم الإضرار، المستمد من قاعدة «لا ضرر ولا ضرار»[4]، والذي يفرض على الباحث والعالم التزامًا أخلاقيًا يمنع استخدام التقنية في ما يهدد الإنسان أو يفسد البيئة أو ينتهك كرامة الخلق.

ثالثا: مبدأ العدالة والتكافؤ، الذي يقتضي أن تكون ثمار العلم متاحة للجميع لا محتكرة في يد فئة أو دولة، لأن الشريعة جاءت لتحقيق المصلحة العامة ودفع الفساد عن المجتمع كله.

إنّ التوجيه المقاصدي للعلم يعني إخضاع كل اكتشاف أو تقنية لمعيار أخلاقي وشرعي يضمن أن يكون في دائرة الخير العام، لأن العلم من دون قيمة يتحول إلى خطرٍ على الإنسان، يقول الطاهر بن عاشور في مقاصد الشريعة الإسلامية: "إنّ الغاية من التشريع هي حفظ نظام الأمة وصلاح أحوالها ليقوم الناس بالقسط، ولا يتحقق ذلك إلا بالعلم المقيد بالفضيلة" [5]،تدعوا الشريعة إلى توجيه التقنية الحديثة لخدمة الإنسان وتحقيق المقاصد الكبرى، بحيث يصبح الذكاء الاصطناعي أداة للنفع، يحقق التنمية العادلة، ويحفظ كرامة الإنسان، ويبني حضارة قائمة على العدل والإحسان، لا وسيلة للسيطرة أو الانحراف، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: 2).

المطلب الثاني: الضوابط الفقهية في التعامل مع الأنظمة الذكية (فقه المسؤولية – فقه المآلات – فقه الضرر)

يشكل ضبط التعامل مع الأنظمة الذكية قضية فقهية معاصرة تتطلب وعيًا مقاصديًا، حيث تفرض طبيعة الذكاء الاصطناعي إطارًا فقهيًا وأخلاقيًا يضمن توافقه مع مقاصد الشريعة، ويقوم ذلك على ثلاثة أصول كبرى: فقه المسؤولية، وفقه المآلات، وفقه الضرر.

---

[1] ( ) الشاطبي في الموافقات (ج2، ص8)

[2] ( ) صحيح مسلم، ج4، ص2208

[3] ( ) الغزالي في إحياء علوم الدين (ج1، ص22)

[4] ( ) الزحيلي ، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة ، ص 202

[5] ( ) الطاهر بن عاشور في مقاصد الشريعة الإسلامية (ص180)

أولًا – فقه المسؤولية: يقوم هذا الفقه على مبدأ أن كل تصرف إنساني في الكون يقتضي تحمل تبعاته، لأن الإنسان في الإسلام مستخلف في الأرض، لا مالك مطلق لها، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: 61)، فكل مبرمجٍ أو باحثٍ أو مؤسسة تطور أنظمة ذكاء اصطناعي مسؤولة شرعًا عن نتائج ما تُنتجه من آثار في المجتمع، وقد أشار الإمام القرافي في الفروق إلى أن "الاعتبار في الأفعال بمآلاتها، فمن تسبب في ضرر لغيره كان ضامنًا وإن لم يقصد الضرر"[1] وبناءً عليه، يتحمّل القائمون على الأنظمة الذكية مسؤولية أي إخلال بالعدالة أو الخصوصية أو الأمن الاجتماعي ناتج عن تصميمٍ أو توظيفٍ خاطئ لهذه الأنظمة.

ثانيًا – فقه المآلات: إنّ من أهم خصائص الشريعة الإسلامية أنها لا تكتفي بالنظر إلى ظاهر الأفعال، بل تراعي نتائجها ومآلاتها، وقد قرر الإمام الشاطبي في الموافقات أن " النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا، سواء كانت الأفعال موافقة أو مخالفة"[2] يشكل هذا الأصل ضابطًا رئيسًا للتعامل مع الذكاء الاصطناعي، حيث يقيّم الفقيه تطبيقاته وفق المآلات، مراعيًا آثارها الاجتماعية والأخلاقية بعيد المدى لا منافعها الآنية فقط.

ثالثًا – فقه الضرر: يرتكز هذا الفقه على القاعدة النبوية المشهورة: «لا ضرر ولا ضرار»[3] ، وهي قاعدة كلية تحكم كل فعلٍ بشري قد يسبب ضررًا للإنسان أو البيئة أو المجتمع، ويُستفاد منها أن الأصل في التعامل مع الأنظمة الذكية هو الإباحة المشروطة بعدم ترتب الضرر، سواء أكان ضررًا ماديًا أو معنويًا، وقد فصل الإمام ابن نجيم في الأشباه والنظائر بأن "الضرر يزال بقدر الإمكان، ولا يُقبل منفعته مع بقاء المفسدة الراجحة" [4]وعليه، فإن توظيف الذكاء الاصطناعي في التجسس أو التلاعب بالوعي أو نشر الشائعات يخالف الضوابط الشرعية لما يسببه من ضرر واضح بالفرد والمجتمع، كما تُبرز هذه القواعد الفقهية رؤية متكاملة تنظّم التعامل مع الأنظمة الذكية من خلال ضبط المسؤولية، والنظر في المآلات، ومنع الضرر وتحقيق التوازن بين التقدم التقني وصون القيم الإنسانية، إنّ هذه الضوابط لا تهدف إلى تعطيل التقنية، بل إلى توجيهها، لأن الشريعة الإسلامية لا تعارض العلم النافع، وإنما تُحذر من انفلاته من القيود الأخلاقية، وبذلك يبقى الذكاء الاصطناعي وسيلة لخدمة الإنسان لا أداة لتهديده، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف: 56).

المطلب الثالث: نحو ميثاق شرعي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي في العالم الإسلامي

يمثل هذا المطلب استجابة للتحديات الأخلاقية للحقل الرقمي، بهدف وضع إطار شرعي يضمن توافق استخدام الذكاء الاصطناعي مع مقاصد الشريعة والكرامة الإنسانية.

أولًا: الأسس الشرعية للميثاق يقوم الميثاق المقترح على مبادئ أصيلة في الفقه الإسلامي، أبرزها:

1. حفظ الكرامة الإنسانية، باعتبارها مقصداً كليًّا من مقاصد الشريعة، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: 70)، فكل استخدام للذكاء الاصطناعي يجب أن يصان فيه الإنسان من التشييء أو الإهانة أو استغلال البيانات بما يضر شخصيته أو حريته.

---

[1] ( ) الإمام القرافي في الفروق ج1، ص177

[2] ( ) الإمام الشاطبي في الموافقات ج5، ص177

[3] ( ) سنن ابن ماجه، ج2، ص784

[4] ( ) الإمام ابن نجيم في الأشباه والنظائر ص87

2. تحقيق العدل والمصلحة العامة، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: 90)، فكل تطبيق تقني لا يحقق العدالة أو يؤدي إلى ظلم طبقي أو معرفي فهو مخالف لمقاصد الشريعة.

ثانيًا: مرتكزات الميثاق الشرعي المقترح يمكن أن يتأسس الميثاق الإسلامي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي على محاور عملية:

1. ضبط مقاصد الاستخدام: وجوب توجيه الذكاء الاصطناعي إلى ما يحقق المصالح المعتبرة شرعًا، في مجالات التعليم، والطب، والخدمات العامة، وتجنّب استعماله في مجالات الفساد الأخلاقي أو التجسس أو التضليل الإعلامي.
2. مبدأ الشفافية والمساءلة: إلزام مطوري الأنظمة الذكية ببيان كيفية عملها ومصادر بياناتها وآثار قراراتها، تحقيقًا لمبدأ "البيّنة" الشرعي الذي يحمي الحقوق ويمنع التلاعب،
3. حماية الخصوصية: لأنّ انتهاك خصوصية الأفراد مخالف لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة» [1]
4. فقه المآلات: تقدير النتائج المستقبلية لاستخدامات التقنية قبل تطبيقها، وفق القاعدة الأصولية «النظر في مآلات الأفعال معتبر شرعًا»[2].

ثالثًا: نحو مأسسة الميثاق : من الضروري أن تتبنى المؤسسات الفقهية والعلمية في العالم الإسلامي –كمنظمة التعاون الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي الدولي، والمجامع البحثية– صياغة ميثاق موحد مستند إلى مقاصد الشريعة، ويُستحسن أن يشمل :

1. لجنة دائمة لمراجعة التطبيقات الذكية من منظور شرعي.
2. اعتماد معايير لأخلاقيات البرمجة الإسلامية.
3. إدخال التعليم الأخلاقي الشرعي في مناهج علوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي في الجامعات الإسلامية.

إنّ الميثاق الشرعي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي ليس مجرد وثيقة نظرية، بل هو إطار معرفي وأخلاقي يترجم القيم الإسلامية إلى قواعد عملية تنظّم علاقة الإنسان بالتقنية، وتحول دون استبدال الضمير الإنساني بالعقل الآلي، وبذلك يتحقق التكامل بين العلم والإيمان، وتبقى الشريعة حاضرة في توجيه مسار التطور العلمي نحو خدمة الإنسان لا تسخيره.

المطلب الرابع: نماذج وتطبيقات عملية لضوابط الشريعة في حماية الكرامة الإنسانية في مجال الذكاء الاصطناعي

إن توظيف الذكاء الاصطناعي في ضوء مبادئ الشريعة الإسلامية يستلزم الانتقال من مستوى التنظير القيمي إلى مستوى الممارسة العملية القادرة على حفظ كرامة الإنسان وصون حقوقه. وفيما يأتي تطبيقات وآليات عملية مقترحة يمكن اعتمادها في مؤسسات البحث، والهيئات الشرعية، وقطاعات التقنية:

أولًا: ميثاق شرعي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي: وذلك من خلال إعداد إطار شرعي إلزامي يتضمن:

1. منع أي استخدام ينتقص من آدمية الإنسان أو يحط من قيمته.

---

[1] ( ) صحيح مسلم، ج4، ص1996

[2] ( ) الريسوني ، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ، ص 353

2. اشتراط وضوح جهة المسؤولية عن أخطاء الأنظمة الذكية.
3. وضع قواعد لحماية الخصوصية وحظر التجسس وانتهاك أمن الأفراد دون مسوغ شرعي.

ويمكن تطبيق مقترح بالتعاون بين وزارات العدل والأوقاف وهيئات الاتصالات لإصدار دليل شرعي–تكنولوجي ينظم تطوير واستخدام نظم الذكاء الاصطناعي في المؤسسات الحكومية والجامعية.

ثانيًا: نموذج تقييم شرعي للأخطار (AI Sharia Risk Matrix): وذلك بانشاء مصفوفة تقييم شرعية قبل اعتماد أي نظام ذكاء اصطناعي، تعتمد على:

1. درجة تأثير النظام على حقوق الأفراد.
2. احتمالية انتهاك الخصوصية.
3. شفافية الخوارزميات.
4. مدى توافقه مع مقاصد الضروريات الخمس.

ويمكن تطبيق مقترح باستخدام النموذج في مشاريع الذكاء الاصطناعي في القطاع الصحي والتعليمي قبل التشغيل، بحيث يُشرف عليه مختص في الفقه ومختص في هندسة الذكاء الاصطناعي.

ثالثًا: نظام مراقبة شرعية آلي: بتطوير خوارزميات مراقبة أخلاقية تعمل على:

1. رصد المحتوى المهين أو العنصري أو الهادف إلى التلاعب العقلي.
2. منع خوارزميات التصنيف من ممارسة تمييز غير مشروع ضد فئات أو أعراق.

ويمكن تطبيق ذلك من خلال إدماج وحدة "مرصد القيم الإسلامية الرقمية" ضمن مراكز تكنولوجيا المعلومات في الجامعات.

رابعًا: تصميم منصات تعليمية تراعي الكرامة الإنسانية بتوجيه الذكاء التعليمي نحو:

1. مراعاة الفروق الإنسانية والنفسية بين المتعلمين.
2. تجنب الأساليب التي تقلل من قيمة المتعلم أو تهمّشه.
3. تعزيز القيم الإسلامية مثل العدالة والرحمة والتعاون.

ويمكن تطبيق المقترح بتصميم نظام تعليمي ذكي يعتمد مبدأ التقويم التعليمي الرحيم الذي يراعي الأخطاء بوصفها مدخلًا للتعلم لا للإهانة أو التصنيف.

خامسًا: توظيف الذكاء الاصطناعي في خدمة الفئات الضعيفة، فالشريعة تركز على حق الضعفاء في الرعاية، ويمكن تحقيق ذلك عبر:

1. تطوير أدوات لذوي الاحتياجات الخاصة (تعرف صوتي، مساعد ملاحي، دعم لغوي).
2. أنظمة كشف التنمر الإلكتروني وحماية الأطفال.
3. تطبيقات دعم كبار السن في الرعاية الصحية المنزلية.

اما تطبيق المقترح فيمكن من خلال إطلاق مشروع: "مُعين" – منصة ذكاء اصطناعي رحيمة لخدمة كبار السن وذوي الإعاقة وفق قيم الرحمة والتكافل الإسلامي.

سادسًا: تدريب متخصصي التقنية على الأخلاقيات الشرعية، وذلك بإدراج مساقات إلزامية في كليات الهندسة والذكاء الاصطناعي حول:

1. مقاصد الشريعة والكرامة الإنسانية.
2. أخلاقية البيانات.
3. الواجبات الشرعية والأخلاقية لمهندسي المستقبل.

اما تطبيق ذلك فيمكن من خلال إنشاء برنامج دبلوم جامعي بعنوان: "فقه التقنية وأخلاقيات الذكاء الاصطناعي".

وبهذا يتجلى أن تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في مجال الذكاء الاصطناعي ليس مجرد تنظير أخلاقي، بل هو منظومة تنفيذية متكاملة تُعنى بحماية الإنسان وصون كرامته، عبر أدوات ومعايير وتدابير مُعاصِرة، تستجيب للتطور التكنولوجي وتوجهه نحو خدمة الإنسان وتحقيق مقاصد العدالة والرحمة والاستخلاف.

الخاتمة ونتائج البحث

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين، يبين البحث أنّ الشريعة الإسلامية توفر إطارًا متكاملًا لتوجيه الذكاء الاصطناعي نحو الخير وحماية كرامة الإنسان، بحيث يكون أداة تمكين حضاري أخلاقي لا وسيلة للهيمنة أو التجريد من الإنسانية.

نتائج البحث:

1. أثبت البحث أنّ الذكاء الاصطناعي في جوهره نتاجٌ للعقل الإنساني وقدرته على الاستخلاف، وهو يدخل في دائرة "التسخير" التي نصّ عليها القرآن الكريم، لا في دائرة "الاستقلال" عن الخالق سبحانه.
2. اتضح أنّ مقاصد الشريعة – وبخاصة مقاصد حفظ النفس والعقل والنسل – تمثل إطارًا مرجعيًا يمكن من خلاله توجيه استخدامات الذكاء الاصطناعي بما يضمن صيانة الكرامة الإنسانية.
3. تبيّن أنّ المخاطر الأخلاقية والقانونية لتقنيات الذكاء الاصطناعي تكمن في غياب الضوابط الشرعية التي تنظم مجالات المراقبة والتحكم ومحاكاة الوعي وفقدان الخصوصية.
4. خلص البحث إلى أنّ موقف الشريعة من استبدال الإنسان بالآلة هو موقف مبدئي قوامه أنّ الآلة وسيلة لخدمة الإنسان لا بديل عنه في الوظائف الأخلاقية والاجتماعية التي تتصل بالنية والضمير.
5. أظهرت الدراسة أنّ فقه المآلات، وفقه الضرر، وفقه المسؤولية تمثل أدوات فقهية فعّالة في تقويم الأنظمة الذكية وضبط آثارها المستقبلية على الفرد والمجتمع.
6. أبان البحث ضرورة بناء ميثاق شرعي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي في العالم الإسلامي ينسجم مع الخصوصية العقدية والقيمية للأمة، ويوازن بين مقتضيات التطور ومبادئ الشريعة.

التوصيات:

1. إنشاء مجالس فقهية وتقنية مشتركة لدراسة تطبيقات الذكاء الاصطناعي من منظور شرعي وأخلاقي.
2. إدماج مادة "أخلاقيات الذكاء الاصطناعي" في مناهج كليات الشريعة وعلوم الحاسوب لتكوين وعي متكامل.

3. تطوير ميثاق إسلامي عالمي وآليات رقابة لضمان التزام التقنيات الذكية بالقيم الشرعية والأخلاقية وحماية كرامة الإنسان.

ختامًا، يظل الذكاء الاصطناعي مرهونًا بقدرة الإنسان على توجيهه نحو الخير وضبطه وفق الشريعة وأخلاقياتها، فلا تعوّض التقنية الوعي القيمي للإنسان المكلَّف بالعقل والضمير، ويكمن مستقبلها الأخلاقي في التزام البشرية بتفعيل مقاصد الشريعة ليبقى الذكاء الاصطناعي في خدمة الإنسان دون المساس بإنسانيته.

المصادر والمراجع

القران الكريم

1. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (2006). الجامع لأحكام القرآن (تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي). القاهرة: مؤسسة الرسالة.
2. الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي. (1997). الموافقات في أصول الشريعة (تحقيق عبد الله دراز). بيروت: دار المعرفة.
3. ابن عاشور، محمد الطاهر. (2001). مقاصد الشريعة الإسلامية. عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع.
4. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (1999). التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
5. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (1993). المستصفى من علم الأصول (تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي). بيروت: دار الكتب العلمية.
6. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (1998). إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة.
7. الزحيلي، وهبة. (1989). القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة. دمشق: دار الفكر.
8. القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس. (1998). الفروق (تحقيق خليل الميس). بيروت: عالم الكتب.
9. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم. (1999). الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان. بيروت: دار الكتب العلمية.
10. الريسوني، أحمد. (1992). نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي. بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
11. مالك بن نبي. (1990). مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. دمشق: دار الفكر.
12. عمارة، محمد. (1983). الإنسان في الإسلام. القاهرة: دار الشروق.
13. بدوي، عبد الرحمن. (1962). الإنسانية والوجودية في الفكر العربي. القاهرة: دار النهضة المصرية.

المصادر الاجنبية :

1. تورنغ، آلان. (1950). Computing Machinery and Intelligence. مجلة Mind، المجلد 59، العدد 236، ص433–460. جامعة أوكسفورد، المملكة المتحدة.
2. راسل، ستيوارت، ونورفيغ، بيتر. (2022). الذكاء الاصطناعي: منهج حديث (الطبعة الرابعة، ترجمة دار الأكاديمية للنشر). مجلدات متعددة (ج1–ج5). نيويورك: Pearson Education.
3. نيلسون، إدوارد. (2018). تاريخ الذكاء الاصطناعي من النشأة إلى الثورة الرقمية. ترجمة مركز البحوث العلمية للنشر. بيروت: دار الكتاب الحديث.

4. مكارثي، جون. (1960). Programming Artificial Intelligence with LISP. MIT Press، كامبريدج، الولايات المتحدة.
5. هنتون، جفري. (1986). Neural Networks for Machine Learning. Toronto University Press، تورنتو، كندا.
6. جوردن، مايكل. (2019). التعلم العميق وتطبيقاته المعاصرة. نيويورك: Springer.
7. فاسواني، أشيش، وشازير، نُوَم، وبارمر، نِك، وآخرون. (2017). Attention Is All You Need. في Proceedings of the 31st Conference on Neural Information Processing Systems، ص14–30. كاليفورنيا: NeurIPS Foundation.
8. روسيل، ستيوارت، ونورفيغ، بيتر. (2010). Artificial Intelligence: A Modern Approach (3rd ed.). Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall.
9. نيلسون، إدوارد. (2005). Foundations of Artificial Intelligence History. MIT Press، كامبريدج.

المواقع الالكترونية :

- International Business Machines Corporation [IBM]. (2023). The history of artificial intelligence. Retrieved October 20, 2025, from https://www.ibm.com/think/topics/history-of-artificial-intelligence
- Encyclopædia Britannica, Inc. (2023). History of artificial intelligence. Retrieved October 20, 2025, from https://www.britannica.com/science/history-of-artificial-intelligence
- Open Digital AI. (2022). AI winters: Why did the enthusiasm collapse twice? Retrieved October 21, 2025, from https://opendigitalai.org/en/ai-winters-why-did-the-enthusiasm-collapse-twice /
- Wikipedia. (2024). History of artificial intelligence, AI winter, Logic Theorist, and AI boom. In Wikipedia, The Free Encyclopedia. Retrieved October 22, 2025, from https://en.wikipedia.org/wiki/History_of_artificial_intelligence
- قاموس المعاني الجامع، تاريخ الاطلاع 15/07/2023على الساعة 3:00، رابط الموقع: https://www.almaany.com/ar/dict/ar